الفصل الثالث عشر

المبادىء الأساسية فى مناهج التربية الاسلامية :

لم تكن المناهج محدودة مقيدة بساعات معينة لكل مادة فى الأسبوع كما هى اليوم فى مدارسنا ، ولكنها كانت عامة بحيث يترك للمعلم أو للمؤدب الحرية فى اختيار الكتب والمواد التى يدرسها للناشئين ٠

ذات مرة رأى المفضل بن زيد٠٠٠ابن اعرابية مسلمة ، فأعجب بمنظره فسألها عنه فقالت : « اذا أتم خمس سنوات أسلمته الى المؤدب فحفظ القرآن فتلاه فعلمه الشعر فرواه ورغب فى مفاخرة قومه وطلب مآثر آبائه وأجداده فلما بلغ الحلم حملته على أعنـــاق الخيل فتمرس وتفرس ولبس السلاح ومشى بين بيوت الحى وأصغى الى صوت الصارخ » ٠

ومن اجابة تلك الأم العربيـة المسـلمة نرى أن الطفل كان يسـلم للمؤدب وعمره خمس سنوات ـ وليس معنى هـــذا أن التعليم يبدأ فى الخامسة من العمر ـ فيحفظه القرآن الكريم بعد أن يعلمه طبعـــا القراءة والكتابة وبعد اجادة حفظه يعلمه الشعر ورواية الشعر ، ويرغبـــه فى دراسة تاريخ آبائه وأجداده وقومه والبحث عن مآثرهم ومفاخرهم حتى يبلغ الحلم فيتمرن على ركوب الخيل ويتعلم الفروسية واستعمال السلاح فاذا أجاد هذه الفنون الحربية ومهر فيها مشى بين بيوت حيـــه وقبيلته وأصغى الى صوت الصارخ ليعمل على انقاذه واغاثته ٠

وقد كتب عمر بن الخطاب رضى‌الله‌عنه المنهاج الآتى ، وأرسله الى‌الولاة من المسلمين ، وقال لهم : «أما بعد فعلموا أولادكم السباحة والفروسية ورووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر » فعمر يأمر بتعليم الأولاد السباحة والفروسية والرماية وما سار من المثل وحسن من الشـــعر ٠ ونعتقد أنه حث على دراسة السباحة والعوم والرياضة البدنية والأمثـال العربية المشهورة والشعر العذب الجميل بعد معرفة مبادىء الدين الاسلامى وحفظ القرآن الكريم ودراسة الحديث الشريف ٠

وقد ذكر ابن سينا فى كتاب السياسة آراء ثمينة فى تربية الأولاد ونصح بالبدء بتعليم الطفل القرآن الكريم بمجرد استعداده جسميا وعقليا للتعليم ٠ وفى الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء والقراءة والكتابة ويدرس قواعد الدين ثم يروى الشعر ويبتدىء بالرجز ثم القصيدة لأن رواية الرجز أسهل‌وحفظه أيسر اذ أن أبياته أقصر ووزنه أخف٠ على أن يختار له

احسن الشعر مما قيل فى فضل الأدب ومدح العلم وذم الجهل وما حث فيه على بر الوالدين واصطناع المعروف وقرى الضيف ... فاذا فرغ الصبى من حفظ القرآن الكريم وألم بأصول اللغة العربية نظر عند ذلك فى توجيهه وارشاده الى ما يلائم طبيعته واستعداده .

وفى تلك النصيحة الأخيرة وهى توجيه المتعلم الى ما يناسب ميوله وطبيعته واستعداده تتمثل روح التربية الحديثة فى عصرنا هذا . فان علماء التربية اليوم ينادون بمراعاة استعداد المتعلم ورغبته فى الدراسة بحيث يوجه الى الناحية العلمية أو العملية أو الأدبية أو الرياضية أو الدينية أو الاجتماعية أو الفنية التى يميل اليها ويرغب فيها حتى ينجح نجاحا باهرا فى دراسته .

وكان ابن التوام يقول : « من تمام ما يجب على الآباء من حفظ الأبناء أن يعلموهم الكتاب (اى الكتابة) والحساب والسباحة » وكان تحفيظ القرآن الكريم نقطة رئيسية فى التعليم الأولى بالكتاتيب .

وقد أوصى الغزالى بتعليم الطفل القرآن وأحاديث الاخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم ثم بعض الأحكام الدينية والشعر الخالى من ذكر العشق وأهله (١) .

واضاف ابن مسكويه (٢) مبادىء الحساب وقليلا من قواعد اللغة العربية .

وقد وضع الجاحظ منهاجا مفصلا (٣) ذكر فيه : « ولا تشغل قلب الصبى بالنحو الا بقدر ما يؤديه الى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام فى كتاب ان كتبه وشعر ان أنشده وشىء ان وصفه ما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به كرواية الخبر الصادق والمثل الشاهد والمعنى البارع . ويعرف بعض الحساب دون الهندسة والمساحة ويعلم كتابة الانشاء بلفظ سهل وعبارة حلوة ويحذر التكلف ويحثه ـ فى قراءة البلغاء ـ أن يستفيد المعانى « الالفاظ » .

وتعد كلمة الجاحظ ثمينة فيما اشتملت عليه من آراء نعدها اليوم حديثة فى عالم التربية فهو يقصد من دراسة النحو القدرة على القراءة الصحيحة والكتابة الصحيحة والكلام الصحيح ولا يريد التوسع فى

---

(١) الاحياء للغزالى حـ ٣ ص ٥٧ .

(٢) فى كتاب تهذيب الاخلاق صفحة ٢٠ .

(٣) فى رسالة المعلمين ص ١٢ ـ ١٤ .

دراسته حتى لا يشغل الصبى عن دراسة التاريخ والامثال العربية ويرى الاكتفاء بالحساب للاحتياج اليه فى الحياة العملية وفى الانشاء ينصح بمراعاة العبارة العذبة السهلة الخالية من التكلف وفى المطالعة يحثه على الاستفادة من المعانى والآراء والافكار ٠

منهج المرحلة الاولى من التعليم الاسلامى :

ان المواد الاساسية التى كانت تدرس للاطفال فى المرحلة الاولى من تعليمهم هى بوجه عام : القرآن الكريم ومبادىء الدين والقراءة والكتابة والحساب ودراسة اللغة العربية ورواية الشـــعر الخلقى واجادة الخط ومعرفة القصص العربية والتمرن على السباحة والفروسية ٠

وكان لأبناء الامراء منهج يختلف بعض الاختلاف عن هذا المنهـــج العام فكانت هناك عناية خاصة باعدادهم للحيـاة التى تنتظرهم فتعلموا الخطابة ودرسوا التاريخ وخاصة تاريخ الملاحم وأدب مجالسة الناس مع العناية بالمواد الاساسية التى ذكرناها من قبل ٠

وقد نصح هشام بن عبـــد الملك لمؤدب ولده أن يعلمه كتاب الله والشعر الجيد والخطابة وتاريخ الملاحم ويعنى بتعليمه الاخلاق ويروضه على مخالطة الناس لكسب التجارب وفهم مختلف الطبائع ٠

وليس فى هذا المنهج الخاص ما ينافى الديمقراطية ولكن فيه عناية باعدادهم للحياة وتربيتهم تربية تنمى ذوقهم الادبى وتعودهم الارتجال والمناظرة وتبث فيهم الشجاعة والخلق الكامل وتعـــودهم الاختـــلاط بالشعب والاتصال به ودراسة أحواله الاجتماعية وفهم طبـــاع النـاس وميولهم ورغباتهم ٠ وهـذه هى الديمقراطية الحقـة فى الاسلام فالحـاكم ليس فى عزلة عن الشعب ولا يعيش بعيدا عنه ولكنه متصل بأفراده كل الاتصال ويعرف كل شىء يتعلق بهم ، يفرح لافراحهم ، ويحزن لاحزانهم، ويعمل لازالة ما يلحقهم من أذى أو ضرر ٠

وقد أشار ابن خلدون الى أهمية تحفيظ الاطفـــال القرآن الكريم وأوضح أن تعليم القرآن هو أساس التعليم فى جميع المناهج الدراسية فى مختلف البلاد الاسلامية لانه شـــعار من شعائر الدين يؤدى الى رسوخ الايمان ٠

ففى الوقت الذى تنوعت فيـه المناهج الدراسية واختلفت باختلاف

فعنى بعضهـــا بتدريس الحساب والالعـاب الرياضية كالعوم والسباحة والفروسية واهتم بعضها باجادة الخط ودراسة الادب والشعر والنحو ، وبعضهـــا بدراسة الحديث الشريف وقوانين العلوم ـ أجمعت البـــلاد الاسلامية كلها وأجمع المسلمون على العناية بتعليم القرآن وحفظه فى كل منهج من المناهج ٠

بماذا يمتاز المنهج فى المرحلة الاولى من التعليم الاسلامى ؟

ان من يدرس المناهج التى كانت متبعة فى الامبراطورية الاسلامية المختلفة البلدان يلحظ أنها فى المرحلة الاولى كانت تمتاز بما يأتى :

١ ـ كان الاتجاه فى المنهج دينيا فقـد كان الطفل يتعلم مبـــادىء القراءة والكتابة ثم يبدأ بحفظ القرآن الكريم ومعرفة قواعد الاسلام ٠ وقد كان غرض فلاسفة الاسلام من تحفيظ القرآن التبرك بأثمن كنز الهى واعظم ثروة روحية فى هذا العالم ٠ وقد ساعد الاطفال فى حفظه التأثر بأسلوبه العذب الجميل وعباراته الموسيقية المعجزة القوية وحكمه وآدابه المنطقية وقصصه المؤثرة ووصاياه الثمينة النادرة ٠ ولو أنهم لم يستطيعوا فهم معنى السور التى يحفظونها من القرآن لصغر سنهم وقلة ادراكهم ٠ وانتفعوا بالذاكرة القوية والحفظ الآلى فى الصغر ٠ ولا عيب فى هذا ففى استطاعتهم أن يعرفوا تفسيره حينما تكبر سنهم ويزداد ادراكهم ويقوى عقلهم ٠ ولو وجد عدد كاف من المدرسين الماهرين الممتازين فى الكتاتيب والمدارس الاسلامية لاستطاعوا بسهولة تفهيم الأطفال المعانى المقصـــودة من الآيات القرآنية قبل أن يحفظوها حتى يسهل عليهم الحفظ والتذكر ٠

٢ ـ العناية التامة بالتربية الخلقية فى تلك التربية وقد وفق علماء التربية من المسلمين كل التوفيق فى هذا الاتجاه وتركوا أثرا تربويا خالدا فى التربية الاسلامية وبرهنوا بأقوالهم وأفعالهم على بعد نظرهم وسداد آرائهم ٠ وهى آراء لا نبالغ اذا قلنا انها تتفق مع آراء علمـــاء النفس المحدثين فى القرن العشرين وقد وضحنا هذا فى الفصل الخاص بالتربية الخلقية فى الاسلام ٠

٣ ـ كما عنى المسلمون بالناحيتين الدينية والخلقية فى المرحلة الأولى من التعليم لم ينسوا العناية بالنواحى النفعية فى المنهج فعنوا بالشعر واللغة العربية وحسن الكلام والحساب والتاريخ والســـباحة والرماية والرياضة البدنية ولكنها لسوء الحظ لم تكن عامة فى جميع المناهج بالبلاد الاسلامية ٠

٤ ـ خاف المسلمون من التربية الجمالية والفنون الجميلة فى مرحلة

الطفولة فقد عدوا الموسيقا والرسم والحركات التوقيعية وأشعار الغزل والعشق مضرة بأخلاق الاطفال ولهذا حاولوا ابعادها عنهم فى طفولتهم ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر ما خلفه الاســـلام من الاثر فى النواحى الدينية والخلقية والثقافية والرياضية والعلمية والمثالية فى منهج التعليم الاسلامى بالمرحلة الأولى وهى مرحلة تشمل التعليم الابتدائى والمتوسط او الابتدائى والثانوى معا ٠

كيف كان منهج التربية فى المرحلة العالية ؟ ٠

ان من ينظر الى التربية والتعليم فى تلك المرحلة فى العالم الاسلامى يجد أن المنهج نوعان : (١) منهج دينى أدبى و (٢) منهج علمى أدبى ٠ ولنتكلم عن كل منهما فنقول :

١ ــ فى الوقت الذى اختير فيه المنهج الأول وهو الدينى الأدبى كان العالم الاسلامى يفكر فى معرفة الدين الاسلامى وحفظه ونشره فعنى العلماء بدراسة الدين والمواد التى لها صلة به كالحديث والتفسير وعلوم اللغـــة العربية والشعر العربى وعلم التاريخ لأنها تساعد فى فهم معانى القرآن الكريم ودراسته وتعين على تذوق الأدب العربى ومعرفة المواد الاجتماعية الانسانية ٠

١ ــ المنهج الدينى الادبى :

لتوضيح هذا المنهج نذكر هنا بعض الأمثلة للدراسات الدينيـــة الادبية :

(أ) ففى كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى (ص ١٢٠ــ١٢١) قيل ان رجلا من ثقيف دخل على الوليد فقال له الوليد : أقرأت القرآن ؟

قال الاعرابى : لا يا أمير المؤمنين شغلتنى عنه أمور وهنات ٠

قال الوليد : أفتعرف الفقه ؟ ٠

قال الاعرابى : لا ٠

قال الوليد : أفرويت من الشعر شيئا ؟ ٠

قال الاعرابى : لا ٠ (وكان الوليد يلعب الشـــطرنج مع عبد الله ابن معاوية وكان قد اخفى الشطرنج بالمنديل عند دخول الأعرابى) فكشف الوليد المنديل عن الشطرنج وقال : (شاهك) فقال عبد الله بن معاوية : يا أمير المؤمنين ٠

قال الوليد : اسكت فما معنا أحد » ٠

ومعنى هذا أن من لم يقرأ القرآن ولم يعرف الفقه ويرو الشعر ولم يدرس الدين والأدب لا يعتد به ولا يفكر فيه أحد ويعد كالعدم لاوجود له٠

(ب) وفى معجم الأدباء لياقوت (١) : قال ابن عتاب : يكون الرجل نحويا عروضيا حسن الكتاب (أى الكتابة) جيد الحساب حافظا للقرآن راوية للشعر وهو راض بأن يعلم أولادنا بستين درهما ٠ ويقصد بهذا أن الرجل قد يكون مثقفا عالما بالنحو والعروض جيد الكتابة مجيـــدا للحساب حافظا للقرآن الكريم راوية للشعر العربى مثقفا ثقافة دينيـة أدبية ثم يرضى أن يقوم بالتدريس لأولادنا بستين درهما لأن المعلمين كانوا يعدون مهنة التعليم روحية مقدسة يعلمون النشء ابتغـــاء مرضـــاة الله لا يقصدون أجرا ولا يفكرون فى مال لزهدهم وتقواهم وقليل منهم كان يأخذ أجرا زهيدا كستين درهما ليستعين بها على الحياة ٠

(ج) وقد وضح المقرى فى كتابه نفح الطيب الدراسات التى اهتم بها المسلمون فى الأندلس فقال :

« وقراءة القرآن عندهم بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة وللفقه رونق ووجاهة ٠٠ وسمعة الفقيه عندهم جليلة ٠٠ وقد يقولون للكاتب النحوى واللغوى فقيه لانها عندهم أرفع السمات ٠ وعلم الأصول عنـدهم متوسط الحال والنحو عندهم فى نهاية من علو الطبقة ٠٠ وكل عالم فى اى علم لايكون متمكنا من علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتمييز ولا سالم من الازدراء ٠٠ وعلم الأدب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستطرفات الحكايات أنبل علم عندهم وبه تتقرب من مجالس ملوكهم وأعلامهم » والشعر عندهم له حظ عظيم ٠

ومن هذا النص نرى أن المسلمين فى الأندلس كانوا يعنـــون كل العناية بالثقافة العالية ويشجعون الطلبة على التعمق فى البحث ، وقراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث ودراسة الفقه والنحو واللغة والأصـــول والأدب ويشمل معرفة التاريخ والنظم والنثر والقصص الطريفة ، وهى كلها دراسة دينية أدبية ترفع صاحبها وتجعل له منزلة سامية بين الملوك والأعلام ٠

(د) وقال الامام الشافعى رضى الله عنه : من تعلم القرآن عظمتقيمته

---

(١) ج ١ ص ٢٣ طبعة مصر ١٩٢٣ ٠

ومن نظر فى الفقه نبل قدره ومن كتب الحديث قويت حجته ومن نظر فى اللغة رق طبعه ومن نظر فى الحساب جزل رأيه ٠

(هـ) وقد درس ابن قتيبة النحو وعلم المفردات والقرآن والتفسير والشعر ٠

(و) ولخص الخوارزمى ـ فى كتاب مفاتيح العلوم ـ المنهج الدينى الأدبى فيما يأتى :

١ ـ علم الفقه ٠

٢ ـ علم النحو ٠

٣ ـ علم الكلام ٠

٤ ـ الكتابة ٠

٥ ـ العروض ٠

٦ ـ علم الاخبار وخاصة تاريخ الفرس والتاريخ الاسلامى وما قبل الاسلام ٠ وتاريخ الاغريق والرومان ٠

٧ ـ الحساب فى كثير من الاحوال ٠

المنهج العلمى الادبى فى المرحلة العالية من الدراسة :

يختص هذا المنهج بالمرحلة التى تقدم فيها التفكير الاسلامى وظهرت الحرية فى التفكير واتسع مجال البحث ونهضت العلوم فى جميع النواحى العلمية والادبية وازداد النشاط العلمى والفلسفى فى الامبراطورية الاسلامية فأنشئت دور العلم وأسست دور الحكمة فى القاهرة وبغداد ودرس مع العلوم العربية من دين ولغة وتاريخ ـ العلوم الرياضية والطبيعية والطبية والفلسفية وترجمت العلوم من اللغات الاغريقية والفارسية والهندية الى اللغة العربية ٠ وانتشرت تلك العلوم التى ترجمت الى لغة العرب فى بلاد العالم الاسلامى القريبة والبعيدة وحدثت نهضة علمية وفكرية كبيرة وازداد نشاط العلماء فى الترجمة والتأليف والبحث فى المواد العلمية المختلفة ٠ وتمتد تلك المرحلة من منتصف القرن الثانى الهجرى الى نهاية القرن الرابع الهجرى حيث بلغت النهضة ذروتها فى التقدم ٠

قال مونرو فى كتابه تاريخ التربية ص ٣٣٣ : « ففى الطب والجراحة وعلم الادوية والفلك وعلم وظائف الاعضاء ـ وصل المسلمون الى ابتكارات هامة ٠٠٠ واخترعوا ساعة البندول ٠٠٠ وعلموا أوربا استعمال البوصلة والبارود فأثر علماء الاسلام فى النهضة العلمية لا يستطيع أن ينكره الا كل مكابر متعصب »

ومن الامثلة الآتية تتضح مميزات المنهج العلمى الادبى ٠

١ ـ فقد درس أبو اسحق الكندى فيلسوف الاسلام الطب والرياضة والشعر والمنطق والفلسفة والموسيقا فى القرن الثالث الهجرى ٠

٢ ـ ودرس ابن سينا القرآن والعلوم الاسلامية والعلوم الفلسفية والعلوم الطبيعية والطب والمنطق والشعر والحساب والهندسة والجبر ٠

٣ ـ ودرس أبو على الحسن ابن الهيثم ـ الذى كان يقيم بمصر ـ علم الالهيات والحساب والهندسة والجبر والطب والفلسفة وفروع العلوم المختلفة وهو العالم الطبيعى والمهندس الرياضى ومؤسس علم الضوء (١)٠

قال ابن الهيثم : اشتهيت ايثار الحق وطلب العلم واستقر عندى أنه ليس ينال الناس من الدنيا شيئا أجود ولا أشد قربة من الله من هذين الامرين ٠ فخضت لذلك فى ضروب الآراء والاعتقـــادات وأنـــواع العلوم والديانات فلم أحظ من شىء منها بطائل ٠٠ فرأيت أننى لا أصل الا عن آراء يكون عنصرها الامور الحسية وصورتها الامور العقلية ٠٠ فلما تبينت ذلك أفرغت وسعى فى طلب علوم الفلسفة وهى ثلاثة : علوم رياضية ، وطبيعية ٠٠ والهية ٠٠٠ »

٤ ـ وفى الاندلس كانوا يجمعون بين العلوم الرياضية والطب والمواد الادبية مع الاقلال من الاهتمام بالعلوم الطبيعية ٠

٥ ـ وقد بين محمد بن موسى الخوارزمى العالم فى كتابه (مفاتيح العلوم) فى القرن الرابع الهجرى أنواع العلوم غير الاســـلامية ولخصها فيما يأتى :

(أ) العلوم الطبيعية : وتشمل الطب بفروعه : التشريح ، وعلم تشخيص الامراض ، وعلم العقاقير والعلاج والتغذية ٠٠٠ ثم علم المعـــادن والمناجم والنبات والحيوان وكيمياء تحويل المعادن الى ذهب ٠

---

(١) ٣٥٤ هـ ـ ٤٣٠ هـ ٠

(ب) العلوم الرياضية : وتشمل الحساب والهندسة والجبر وعلم الفلك والموسيقا والميكانيكا وعلم الآلات الرافعة ...

(جـ) المنطق .

٦ ـ وان من يطلع على رسائل اخوان الصفا وما فيها من الرسائل الرياضية التعليمية والرسائل الجسمانية الطبيعية والرسائل النفسانية العقلية والرسائل الناموسية والالهية والشرعية والدينية يرى بوضوح مقدار العظمة الفكرية والنشاط العقلى لدى علماء الاسلام فى القرن الرابع الهجرى .

وقد أشار الاستاذ براون فى كتابه « الطب العربى(١) » الى قصة «تودد الجارية» التى دونت فى كتاب ألف ليلة وليلة وهى حقا تدل على التعمق فى البحث والتوسع فى العلم أيام عظمة الامبراطورية الاسلامية .

وان نظرة واحدة الى تراجم علماء المسلمين كالفهرست لابن النديم وتاريخ الحكماء لابن أبى أصيبعة وتراجم القفطى ووفيات الاعيان لابن خلكان ومعجم الادباء لياقوت ترينا بوضوح أن كثيرين من المسلمين قد درسوا المواد العلمية فى جميع البلاد الاسلامية ولكن عدد من درسوها كانوا أقل ممن درسوا العلوم الدينية والادبية .

وباستعراض المناهج فى المرحلة العالية نستنبط ما يأتى :

١ ـ ان عناية المسلمين بالدراسات الدينية كانت كبيرة وسابقة للدراسات الاخرى .

وكان من رأى الفارابى وابن سينا واخوان الصفا أن الكمال الانسانى لا يتحقق الا بالتوفيق بين الدين والعلم .

٢ ـ أن الميل الى دراسة الادب والعلوم والانسانية كان أكثر من الميل الى الدراسات العلمية .

٣ ـ ان المنهج العلمى الادبى فى المرحلة العالية كان يمتاز بالتوسع فى معرفة كثير من العلوم والمواد الانسانية . فكان الغرض الاول من التربية الاسلامية وجدانيا قبل أن يكون عقليا. وكان طلبة الطب يدرسون مع فروعه المختلفة العلوم الطبيعية والرياضية والمنطق والنحو والشعر العربى وبعض العلوم الاسلامية لان التخصص كان قليلا .

---

(١) Arabian Medicine